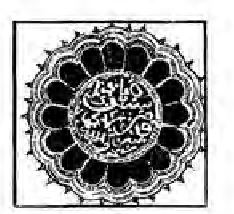
المخطوطات



التعاون والتنسيق بين الجامعات السعودية في ميدان المخطوطات

محمد بن عبد الرحمن الربيع *

١

الحديث عن المخطوطات العربية حديث متشعب الأطراف متعدد العناصر وخوض فى بحار متلاطمة الأمواج فالمخطوطات هى معدن الحضارة الاسلامية وموئل العقول ومستقر الأفكار .

وما خلفه لنا المسلمون السابقون من مخطوطات أمر يحار العقل أمام كثرته وتعدد فنونه ، فمع ما مر بالمسلمين من نكبات مدمرة أحرقت فيها الآلاف المؤلفة من الكتب إلا أن مابقى منها الآن وهو القليل يمثل ثروة علمية هائلة منتشرة فى أصقاع العالم الاسلامى فى المكتبات والمساجد والزوايا المنسية ولدى الأفراد ، بل إن مايوجد من هذا الكنز العظيم خارج العالم الاسلامى في أوربا وأمريكا وغيرهما يعد مفخرة للمسلمين الأوائل الذين شغفوا بالكتاب تأليفا واستنساخا .

وإذا كان مابقى الآن من المخطوطات يعد ثروة علمية هائلة ، فان كثيرا منه لم يفهرس ولا يمكن التعرف عليه ، وإن الباحث ليصاب بالحيرة حينما يقرأ فى الكتب العربية القديمة التى تعنى بذكر المؤلفات : كالفهرست لابن النديم ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ، وفهرست ابن خير الأشبيلى،وغيرها فيجدها تذكر أسماء كتب هامة في فن من الفنون،ثم لا يعثر على هذا الكتاب في فهارس المخطوطات مع كثرتها ، فهل هذا الكتاب من الكتب التى فقدت وعدا عليها الزمن أم أنه من الكتب التى لم تفهرس حتى الآن .

إن المؤلفات الحديثة التى تعنى بذكر معلومات عن المخطوطات وأماكن وجودها مع ما اشتملت عليه من ذكر لعدد هائل من الكتب كتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين الذى يعد مفخرة من مفاخر العقل الاسلامى المنتج في العصر الحديث . إن هذه المؤلفات مع مابذل فيها من جهد لا تشتمل على كل المخطوطات الموجودة الآن ، بل تشتمل على ماورد في فهارس المخطوطات أو ما استطاع المؤلف بجهده الشخصى أن

* دكتوراه في الأدب العربي من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ . أستاذ مساعد ونائب مدير مركز البحوث بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

يقف عليه و يصفه من مخطوطات .

ولذلك كان أول واجب علينا أن نحصر المخطوطات المتبقية ونصفها وصفا موضوعيا ليتمكن الباحثون من الاستفادة منها ، وسنتناول هذا الجانب بشئ من التفصيل فيما بعد .

٢

وقبل أن أسرد وأناقش نماذج مما يجب علينا في المملكة العربية السعودية عمله نحو المخطوطات العربية جمعا ووصفا وحماية وتحقيقا ونشرا أحب أن أشير إلى بعض الملاحظات العامة قبل الدخول في الموضوع .

أولا : لن أتحدث عن تاريخ الخطوط العربي ونشأته والمراحل التى مر بها فذلك موضوع يحتاج إلى بحوث خاصة ، كما لن أتحدث عن أهمية التراث فى العصر الحديث فذلك أمر غير قابل للنقاش ولا يحتاج إلى دليل فهو مستقر فى الأذهان السليمة المؤمنة بحضارتها الاسلامية العظيمة.

ثانيا : سوف أتوسع في المراد بأقسام المخطوطات في الجامعات السعودية ، فأنا لا أريد بقسم المخطوطات القسم الذى تحفظ فيه المخطوطات أو القسم الذى يعنى بجمع المخطوطات من عمادة المكتبات ، وإنما أريد الأقسام التى لها صلة وعلاقة بالمخطوطات جمعا كأقسام المخطوطات ، أو تحقيقا كمراكز البحوث وأقسام الدراسات العليا التى تتناول المخطوطات ضمن بحوث طلابها ، أو نشرا أو توزيعا ليكون الحديث شاملا .

ثالثا : ليس في تركيز الحديث عن دور الجامعات في حفظ ونشر المخطوطات تجاهل وتقليل لما تقوم به الجهات الأخرى من خدمة للتراث ولا انكار وجحد لجهود الأفراد أيضا .

رابعا : التنسيق والتعاون بين الجامعات السعودية في مجال المخطوطات خطوة أولى لتعاون وتنسيق بين الدول العربية والاسلامية في هذا المجال الهام منعا للازدواجية والتكرار ، وتكثيفا للعمل المثمر البناء .

٣

وقد عملت جامعة الدول العربية على تبنى العمل في مجال المخطوطات وتنظيمه ، فأنشأت عام ١٩٤٦ م معهد المخطوطات بالقاهرة وكان الهدف من انشائه كما نصت عليه لوائحه :

١ ــ جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة .

٢ ــ تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية الموجودة .

٣ ــ وضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء .

٤ ــ نشر النصوص المخطوطة .

٥ ــ تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات .

٦ ــ اصدار نشرة دورية عما طبع أو يطبع من المخطوطات مع الاشارة إلى ما هو معد للطبع .

وقد قام هذا المعهد بجمع عدد كبير من المخطوطات الأصلية والمصورة وأصدار مجموعة من الفهارس ، كما أصدر مجلة باسم مجلة معهد المخطوطات وهى مجلة علمية تعنى بالتراث العربى وصفاً وتحليلا وتحقيقا ونقدا .

كما استفاد كثير من الباحثين من مخطوطات المعهد في دراساتهم وتحقيقاتهم ، والحقيقة أن المعهد قد أدى خدمات لا تنكر للتراث العربى والقائمين عليه ، وإن كانت هناك أوجه نقص كثيرة في عمله ويمر المعهد الآن بأسوأ مرحلة في حياته .

٤

وقد تنبهت الدول الاسلامية أيضا الى أهمية المحافظة على التراث الاسلامى ــ من مخطوطات وآثار ــ فقرر مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى المنعقد في داكار بالسنغال (جمادى الأولى عام ١٣٩٨ هـ) انشاء لجنة دولية للمحافظة على التراث الاسلامى يكون من مهامها :

١ ــ المحافظة على التراث الاسلامى .

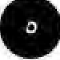
٢ ــ دراسة وسائل وضع حد لسرقة الآثار الاسلامية واعادة المسروق .

٣ ــ اتخاذ التدابير لتصوير المخطوطات والآثار الاسلامية والحفاظ عليها .

٤ ــ التعريف بالتراث الاسلامى ونشره .

٥ ــ اعداد مشروع اتفاقية تبرم بين الدول الأعضاء لتحقيق هذه الأهداف .

وقد شكلت الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى بجدة لجنة من الخبراء لدراسة هذا الأمر واعداد الاتفاقية .



في المملكة العربية السعودية مخطوطات كثيرة قيمة ، لكن هذه المخطوطات مبعثرة موزعة بين المكتبات العامة والخاصة ، وكثير منها غير مفهرس ولا يستطيع الباحث معرفته فضلا عن الحصول على صورة منه ، وهذه المخطوطات يجب العناية بها وحفظها وفهرستها وتسهيل الاطلاع عليها وتصويرها ، ولكن يجب ألا نقصر اهتمامنا على ما لدينا فهو كثير في حد ذاته ولكنه قليل جدا في خضم المخطوطات الهائل المبعثر في جميع أنحاء العالم ، وحتى تحتل بلادنا مكانها المرموق في عالم المعرفة وحتى تصبح قبلة للباحثين والمحققين أرى أنه من الواجب على جامعاتنا أن تضع خطة مشتركة لتصوير كل ما يمكن تصويره من مخطوطات عربية في جميع أنحاء العالم ، بل حبذا لو أمكن تصوير كل ما هو معروف من المخطوطات العربية والاسلامية فى العالم .

وهذه المهمة وإن كانت ستواجه عقبات ومشكلات كثيرة جدا إلا أن الجامعات السعودية تستطيع مجتمعة أن تتغلب على هذه العقبات والصعاب بخطة طويلة الأمد مدروسة منسقة .

وهذا التصوير الشامل سيتيح للباحثين وطلاب الدراسات العليا في المملكة فرصة عظيمة للحصول على المراجع المخطوطة دون عناء السفر وما يعترض تصوير المخطوطات من عقبات ، بل إن الباحثين من خارج المملكة سيتجهون إليها لما سيكون لديها من مخطوطات هائلة و بذلك تنشط الحركة الفكرية في المملكة العربية السعودية .

وسوف تتيح هذه المخطوطات الهائلة فرصة ممتازة للجامعات لاصدار سلاسل كثيرة ونافعة من كتب التراث ، وعند ذلك يحق لنا أن نقول بكل فخر واعتزاز أن هذا البلد — مهبط الوحى ومنبع العربية — قد قام بدوره وأدى واجبه بأمانة تجاه الحضارة الاسلامية الراسخة الجذور .

و بعد أن ننتهى من عملية الجمع والفهرسة تبدأ عملية الاختيار ، لأن كتب التراث ليست كلها أهلا للنشر ، بل منها ما لايقدم جديدا أو اضافة إلى العلم والمعرفة وذلك ما تقرره اللجان العلمية التى ستشرف على عملية الترشيح والاختيار للنشر .

ونتمنى أن يأتى اليوم الذى نشعر فيه أن كل مفيد من تراثنا قد حقق ونشر لأن تحقيق التراث ونشره مرحلة هامة يجب أن ننتهى لننتقل إلى مراحل أخرى في خدمة التراث من تحليل له تحليلا موضوعيا بعد الدراسة الشاملة التى استطعنا تهيئة وسائلها العلمية بنشر المخطوطات و بذلك ستكون أحكامنا التراثية واضحة المعالم راسخة الجذور .

٦

وعلى الجامعات السعودية أن تدعو إلى ندوة حول المخطوطات على أن تشكل الجامعات لجنة مشتركة لوضع الخطط التمهيدية لهذه الندوة ثم تتبنى احدى الجامعات هذه الندوة على أن يتكرر عقدها كل سنتين أو ثلاث و يدعى إلى هذه الندوة :

١ — المسؤولون عن المخطوطات والمكتبات في الجامعات السعودية .
٢ — المسؤولون عن المخطوطات في المملكة من خارج الجامعات .
٣ — رجال التحقيق والمعنيون بالتراث الاسلامى .
٤ — المسؤولون عن الدراسات العليا التى تتناول التحقيق في دراساتها .
٥ — خبراء المخطوطات في العالم العربى والاسلامى .
٦ — مراكز الدراسات العربية والاسلامية .

و يكون من مهام هذه الندوة :

١ — وضع خطة شاملة لحصر المخطوطات .
٢ — وضع خطة واضحة لفهرست المخطوطات فهرسة وصفية تحليلية .
٣ — أصول التحقيق العلمى للمخطوطات .
٤ — وسائل نشر التراث والتعريف به .
٥ — بحث الاتفاقيات المساعدة على تحقيق ذلك .

٧

وهناك نقص كبير في مجال التعريف بالمخطوطات عندنا إذا لا يوجد في المملكة مجلة متخصصة في المخطوطات تعنى بنشر الفهارس و وصف المخطوطات الهامة والتعريف بما تم تحقيقه منها ونقد ما ينشر في هذا الميدان الهام ، لذلك فانى أتطلع إلى اليوم الذى أرى فيه مثل هذه المجلة وقد أصدرتها احدى جامعاتنا الجليلة ولا بأس أن تكون هذه المجلة شاملة لأمور المكتبات المخطوطة والمطبوعة لتسد هذا الفراغ ولا أريد بهذا الكلام أن أنكر أن بعض مجلاتنا تولى المخطوطات عناية كمجلة مركز البحث العلمى بمكة ومجلات الكليات الجامعية ويجب أن نشيد هنا بما تقوم به مجلة العرب لصاحبها العلامة الشيخ حمد الجاسر من عمل عظيم في هذا المجال.

وقد قرأت حديثا أنه سيصدر قريبا مجلتان تعنيان بالكتب والمكتبات أولاهما باسم عالم الكتب والثانية باسم المجلة العربية للمكتبات والمعلومات فعسى أن تقوم تلك المجلات بدور جيد في هذا المجال الهام .



كما يجب على أقسام المخطوطات الاشتراك في النشرات والدوريات العربية والعالمية التى تعنى بالمخطوطات ، وذلك لمعرفة كل جديد في عالم المخطوطات وليكون العاملون في هذه الأقسام على صلة وثيقة باخوانهم في التخصص ، كما أن ذلك يتيح للقسم تقديم خدمات أفضل للرواد من المعنيين بالمخطوطات ، فقسم الدوريات قسم هام في المكتبة ولابد أن يكون المسؤولون عنه على مستوى علمى جيد يمكنهم من ارشاد الباحثين وتقديم أفضل الخدمات لهم .



والمخطوطات العربية كثيرة جدا ومنتشرة في جميع انحاء العالم و بعضها في مكتبات معروفة وكثير منها لا يزال مجهول في مكتبات خاصة و بعض المساجد والأماكن التى لم يتعرف عليها الباحثون عن التراث .

كما أن المكتبات المعروفة بعضها له فهارس ، وكثير منها لم يفهرس ، والمفهرس تنقص فهارسه الدقة في وصف المخطوط أو معرفة المؤلف أو الفن

أو غير ذلك ، ولذلك فمن هاجب أقسام المخطوطات في جامعتنا في هذه المرحلة أن تعنى بجمع فهارس المخطوطات من جميع أنحاء العالم ، وإذا كان بعضها في حكم المخطوط فلابد من تصويره ، المهم أن يكون لدينا نسخة كاملة من جميع ما صدر من فهارس المخطوطات العربية سواء أكان مطبوعا في كتب مستقلة أم منشورا ضمن أبحاث المجلات العلمية والدوريات — وهذا جانب هام من الفهارس — أم مكتوبا على الآلة أم بخط اليد لأن الفهارس هى الأداة الأول للباحث .

أما المخطوطات الموجودة في المملكة في المكتبات العامة أو الخاصة فيجب البدء في اعداد فهارس موضوعية متقنة ومفصلة لها ، وهذا أقل ما يجب علينا وهو أن نفهرس ماعندنا ثم نعرف العالم بهذه الفهارس عن طريق النشر والتوزيع الشامل لها

أما اذا وصلنا إلى ما تمنيناه في الفقرة السابقة من تصوير المخطوطات في أنحاء العالم فان أمامنا ميدان طويل وشاق في عمل الفهارس لذلك العدد الهائل من المخطوطات ، ولابد لذلك من برنامج مفصل يشمل أسلوب العمل وخطته لنصل إلى درجة من الدقة يطمئن إليها الباحث المحقق فكم من الاخطاء في الفهارس الموجودة وهذا ما يجب تلافيه في الأعمال القادمة .

١٠

ولابد من الاستفادة من معطيات الحضارة الحديثة وتكنولوجيا العصر في مجال المخطوطات ، فالوسائل الحديثة في الحفظ والتصوير تقدم خدمات عظيمة في هذا المجال مثل :

١ — وسائل الحفظ الحديثة التى تضمن للمخطوط حياة أطول .

٢ — وسائل التصوير الحديثة من مايكروفلم ومايكروفيش وأجهزة القراءة والتكبير وغيرها .

٣ — استخدام الحاسب الآلى (الكمبيوتر) في خدمة التراث ، وذلك بوضع برنامج لادخال الفهرسة الوصفية للمخطوطات ضمن معلومات الكمبيوتر ، وكذلك تحليل المعلومات الواردة في المخطوطات الخاضعة للبرمجة ، وكذلك جمع المعلومات المتعلقة بموضوع واحد في مخطوطات متعددة مما يتيح للباحث الحصول على معلومات سريعة عن طريق استشارة الكمبيوتر .

وبذلك تستفيد اقسام المخطوطات من التكنولوجيا الحديثة استفادة كاملة توفر الوقت على الباحث وتضمن له دقة متناهية في المعلومات التى يحصل عليها .

والمعروف أن أكثر جامعاتنا لديها حاسب آلى فلماذا لايستخدم في هذا المجال الهام لا أن يقصر استخدامه على الأمور المالية والحسابية فقط .

١١

وصيانة المخطوطات وحفظها وترميمها علم له أساليبه ونظمه ويجب أن نهتم به وأن يكون في كل مركز للمخطوطات قسم للصيانة والترميم والعلاج فان العناية بالمخطوطات وحمايتها من الآفات أمر هام ولا يصح التساهل في هذا الجانب ، ويمكن ادخال هذه المادة العلمية ضمن مناهج أقسام المكتبات في الجامعات السعودية .

كما أن هذا القسم يجب أن يقدم خدماته إلى المكتبات العامة والخاصة خارج الجامعة وأن يعاونها في حماية موجوداتها و يرشدها إلى الأساليب السليمة في ذلك وحبذا لوعقدت دورات تدريبية للعاملين في أقسام المخطوطات على الصيانة والترميم والوسائل العلمية لحفظ المخطوطات.

١٢

و بعض الجهات المهتمة بالتراث في العالم العربى والاسلامى تتبنى مسابقات علمية فى مجال تحقيق التراث ونشره كمكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للجامعة العربية وكالمجامع اللغوية ، وحبذا لوتبنت جامعاتنا مسابقة لتحقيق نص تراثى ورصدت الأموال للفائزين ، وقامت بعد ذلك بطباعة الكتاب المحقق على نفقتها ، ويمكن وضع تنظيم مفصل لهذه المسابقة يبين شروطها وأحكامها ، ومن الأفضل أن يحدد في كل عام موضوع من موضوعات التراث ليكون مجالا للتحقيق حتى تشمل الفائدة جوانب متعددة من تراثنا الخالد .



كما أن هناك مايسمى بنظام التعضيد أو مساعدة المؤلفين وهو أن تقوم جهة حكومية مثلا بمساعدة المؤلفين والمحققين على نشر ماتم تأليفه أو تحقيقه على أن تقوم تلك الجهات بدفع مساعدات مالية لهم وفق أنظمة مرعية مساعدة لهم في طباعة الكتاب .

وهنا أرى أنه لابد من تدخل الجهة الدافعة للمساعدة في سعر بيع الكتاب وأسلوب توزيعه لتكون الفائدة من المساعدة شاملة للمؤلف والمثقف الذى سيشترى الكتاب بسعر مناسب .

وقد قامت دارة الملك عبد العزيز مثلاً بمساعدة بعض المؤلفين على

طبع كتبهم وحبذا لو شملت المساعدة أيضا الذين يقومون بتحقيق التراث الاسلامى الجيد ونشره .

١٤

و يلاحظ أيضا أن تكلفة طباعة الكتب في عصرنا قد ارتفعت وأسعار الكتب قد زادت ، و بعض كتب التراث مكونة من أجزاء مما يز يد في ثمنها و يصرف الناس ذوى الامكانات الضعيفة عن شرائها ، لذا لابد من التفكير في وسائل تضمن انتشار الكتب عن طر يق خفض القيمة ومن ذلك :

١ ــ بيع الكتب بأسعار رمز ية ، وقد قامت الجامعات مشكورة بانشاء مراكز لبيع الكتب الجامعية للطلاب وحبذا لو توسع في ذلك بوسائل مختلفة ليعم النفع أكبر عدد ممكن من المثقفين .

٢ ــ دعم المؤلفين ومساعدتهم عند طباعة مؤلفاتهم وقد سبق الحديث عنه.

٣ ــ اصدار سلاسل من قبل المراكز العلمية والجامعات على أن تباع الكتب بأسعار مخفضة .

٤ ــ اصدار سلاسل شعبية على ورق عادى بسعر رخيص .

١٥

كما أن من واجب أقسام الدراسات العليا في جامعات المملكة توجيه طلابها إلى تحقيق المخطوطات التي تتعلق بأبحاثهم الجامعية ، وحبذا لو طلب من كل طالب في الدراسات العليا في الكليات الانسانية على الأقل أن يحقق مخطوطا ولو صغيراً كجزء من دراسته ليتمرن بأساليب العرب القدماء ، وليتعرف على تراث أمته الخالد ليتحول الاعجاب بهذا التراث إلى قناعة علمية راسخة ، وربما اتجه بعد ذلك إلى ميدان التحقيق الرحب الواسع ، ولست أر يد بهذا أن تكون جميع الرسائل في الدراسات العليا في التحقيق فقط ، بل أردت أن يكون من الأشياء المطلوبة على طلاب الدراسات العليا التمرن على التحقيق .

١٦

وقد كان للمسلمين تراث علمى هائل في الطب والهندسة والكيمياء والر ياضيات وغير ذلك من العلوم التطبيقية ، ويجب ايلاء هذا الجانب عناية خاصة من جامعاتنا لأن الملاحظ كثرة الاتجاه إلى تحقيق الكتب النظر ية وإن كانت بعض الدول والجامعات العربية قد شعرت بأهمية ذلك فأنشأت مراكز لتحقيق التراث العلمى العربى كمهعد التراث العلمى العربى بجامعة حلب الذى أنشئ عام ١٩٧٦ م ومن أهم أهدافه:

١ ــ الكشف عن التراث العلمى العربى .

٢ ــ اعداد البحوث والدراسات في هذا المجال .

٣ ــ تدر يب الباحثين .

٤ ــ عقد المؤتمرات والندوات التى تعنى بتراث العرب العلمى .

٥ ــ تحقيق الكتب العلمية ونشرها .

٦ ــ اصدار الدور يات والنشرات التى تعرف بهذا التراث .

كما أنشأت جامعة بغداد في عام ١٩٧٦ م مركز احياء التراث العلمى العربى للأغراض السابقة .

١٧

وفي تراثنا مخطوطات كبيرة مكونة من أجزاء متعددة **كالموسوعات** وكتب التراجم ، وهذه الكتب يصعب على الأفراد القيام بتحقيقها تحقيقا علميا دقيقا ونشرها نشرا يضمن انتشارها والانتفاع بها .

لذلك يحسن أن تتبنى الجامعات السعودية ومراكز البحوث تحقيق هذه الكتب على أن تقوم في سبيل ذلك بما يلى :

١ ــ توفير النسخ الخطية المختلفة للكتاب من جميع أنحاء العالم .

٢ ــ توفير المراجع المتعلقة بالمخطوط للمقارنة والتخر يج والتوثيق .

٣ ــ توز يع المخطوط على مجموعة من الباحثين على أن يتم التنسيق بينهم.

٤ ــ توفير الباحثين المساعدين (النساخ ومحضري المعلومات) .

٥ ــ طباعة الكتب فور الانتهاء منه .

٦ ــ وضع الفهارس التحليلية الشاملة للكتاب .

٧ ــ توفير الأموال اللازمة للانفاق على التحقيق والطبع .

٨ ــ توز يعه على الجامعات والمراكز العلمية والمكتبات الشهيرة .

٩ ــ بيعه بسعر معقول .

١٨

ويحسن أيضا اصدار سلاسل مهذبة ومختصرة من كتب التراث الكبيرة ، وهذه الفكرة لها أنصار ومعارضون ، فالمعارضون يرون في هذا الاختصار والتهذيب صد للناس عن كتب التراث الأصلية وابعاد لهم عن أسلوب التأليف عند القدماء .

أما المؤ يدون لهذه الفكرة فلهم حججهم القو ية ومنها :

١ ــ أن بعض كتب التراث ضخمة جدا مما يجعل القارئ الكسول لا يلتفت إليها .
٢ ــ أن بعض كتب التراث مليئة بالحشو والاستطراد والأسانيد والتهذيب يبعدها عن ذلك .
٣ ــ أن هذه المختصرات ليست للباحثين ولكنها للطلاب غير المتخصصين وخير للتراث أن يقرأ مجموعة كبيرة من الناس مختصرات له من أن يعرضوا عنه بشكل نهائي .
٤ ــ أن التهذيب والاختصار ليس بدعا في تراثنا ، فكم للقدماء من مختصرات للكتب الكبيرة ، بل إن بعضهم يؤلف الكتاب مرتين مرة بتوسع وتفصيل وأخرى باختصار وتركيز .

والحقيقة أن هذا التهذيب والاختصار من الأمور الصعبة لأن من واجب المهذب أن يحافظ قدر الاستطاعة على روح المؤلف وأسلوبه ومعلوماته ، وذلك أمر لم يستطعه كثير من المهذبين ، أما إذا قام بهذا العمل أناس من المختصين فله فائدة كبيرة .

ويجب أن يحث المهذب القارئ على الرجوع إلى النص الأصلي وأن يكون التهذيب دافعا ومشوقا للرجوع إلى الأصل .

كما أن من المفيد اصدار سلاسل باسم مختارات من كتب التراث بحيث يتم اختيار باب أو فصل أو عدة فصول من كتاب هام أو مجموعة كتب على أن يذكر الباب المختار بنصه كما كتبه المؤلف مع التعليق عليه في الهامش ووضع مقدمة له فيها ترجمة للمؤلف وعرض واضح لمحتويات الفصل المختار .

١٩

وعلى الجامعات أن ترعى المحققين السعوديين ممن ليسوا من منسوبيها فلا شك أن هناك علماء أجلاء قدموا للتراث الاسلامي خدمات عظيمة بل إن بعضهم مثل حمد الجاسر قد قدم للتراث من الخدمات مالم تصل إلى مستواه كثير من جامعاتنا ، ومثل هؤلاء الرجال يجب أن تسعى الجامعات إليهم لا أن تنتظر منهم الخطوة الأولى ، فالعلم يعنى له والعلماء يخطب ودهم و يتقرب إليهم ، فلماذا لا يقوم تعاون مثمر في هذا المجال بين الجامعات وبينهم عن طريق نشر مؤلفاتهم ومحققاتهم ، أو تقديم المعونات لهم في هذا المجال وشراء نسخ كثيرة من مطبوعاتهم ، بل ووضع خطط مستقبلية للتعاون معهم والاستفادة من علمهم وخبرتهم وتكليفهم بتحقيق بعض الكتب لحساب الجامعة ، وقبل ذلك تقديم التسهيلات اللازمة لهم في الحصول على صور المخطوطات مجانا سواء من المخطوطات الموجودة هنا أم عن طريق طلب مصوراتها لهم من الخارج مع تحمل الجامعة كافة النفقات .

٢٠

و يشكو المهتمون بالمخطوطات في العالم الاسلامي من الازدواجية في التحقيق وتضييع الجهد في تكرار التحقيق دون علم ، ولعل السبب في ذلك هو ضعف الروابط بين المحققين ، وعدم معرفة بعضهم بما يقوم به الآخرون من تحقيق مخطوطة معينة فنتج عن ذلك أن بعض الكتب نشرت محققة في مصر مثلا وفي العراق أو سوريا أو الكويت أو تونس في وقت واحد ، والأمثلة على ذلك كثيرة معروفة ، ونتج عن ذلك الاشتراك والتكرار للعمل ضياع الجهد والوقت في عمل مكرر ولو اتجه كل واحد إلى موضوع آخر لكان في ذلك الخير والفائدة ، فتراثنا ضخم جدا ومالم ينشر منه أكثر مما نشر فلماذا الازدواجية والتكرار ؟

ويمكن تلافي ذلك بأن تلزم الجامعات مثلا كل متعامل معها أو طالب فيها بكتابة بيان مفصل بعمله ثم تقوم الجامعة ــ أو الجهة المختصة الأخرى ــ بايداع صورة من هذا البيان لدى معهد المخطوطات مثلا أو أي جهة أخرى تتفق الدول العربية والاسلامية على أن هذا الأمر من شؤونها، وتقوم هذه الجهة بتفريغ هذه المعلومات في بيانات ترسل إلى الدول المشتركة والهيئات العلمية على أن يلزم الباحث وطالب الدراسات العليا بالحصول على افادة من تلك الجهة بأن الكتاب لم يحقق مثلا، وليس هناك باحث يقوم بتحقيقه ، وأعتقد أن في ذلك التنظيم حماية للجهود من الضياع ، وسوف يرحب به كل باحث سواء في الجامعات أم خارجها ، فليس الأمر مقصورا على المنتمين إلى الجامعات ، بل هو عام شامل لكل مهتم بهذا التراث الخالد .

٢١

ولدينا في المملكة مجموعة كبيرة من المكتبات الخاصة المليئة بنوادر المخطوطات والتي بذل أصحابها من العلماء الشئ الكثير في سبيل تكوينها وامدادها بالنفائس وهذه المكتبات الخاصة منتشرة في جميع أرجاء المملكة ، ويجب على الجامعات العناية بها وتقديم الخدمات إليها بل والحاقها بمكتبات الجامعة ما أمكن ذلك لأن في ذلك حماية لها .

يقول حمد الجاسر عن المكتبات الخاصة في بلادنا « وفي بلادنا مكتبات خاصة انتقل جامعوها إلى رحمة الله تسربت إليها مخطوطات البلاد بمختلف الطرق حتى أصبحت تضم أنفسها وأكثرها ولكن تلك المكتبات ــ بموت أصحابها ــ أصبحت نسيا منسيا يعبث بها البلى وتعبث فيها يد الاهمال وقد نفقد بفقد محتوياتها ثروة أية ثروة»([1])

ومن المكتبات الخاصة على سبيل المثال في نجد : مكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (وقد ضمت إلى جامعة الامام محمد بن سعود

الاسلامية) ومكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف ومكتبة الشيخ عبد الله ابن عبد العزيز العنقرى ومكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان، وفي الحجاز مكتبة الشيخ محمد نصيف ومكتبة الشيخ محمد سرور الصبان ومكتبة الشيخ محمد ماجد الكردى ، وفي الجنوب مكتبة الشيخ محمد أحمد العقيلي ومكتبة آل الحفظى ومكتبة آل الحكمى ، وغير ذلك كثير جدا مما يجب حصره ومعرفة محتو ياته لأن المخطوطات ثروة وطنية يجب المحافظة عليها وإلا لتسربت إلى خارج البلاد بل إلى خارج العالم الاسلامى ، فالمكتبات الشهيرة في أور با إنما حصلت على مخطوطاتها الكثيرة نتيجة لجهل المسلمين في عصور الانحطاط بقيمة المخطوطات فكان كثير من أبنائهم يبيعونها لوكلاء المكتبات الأور بية ، أو كانت الدول المستعمرة تستولى على مكتبات المساجد والأوقاف . فالمخطوطات العر بية الموجودة في أور با لم تكتب في أور با وإنما كتبت في الشرق العر بى ، وذلك واضح من اسماء النساخ والتملكات الموجودة عليها ومع ذلك تكونت هذه المكتبات الضخمة ففهرس المخطوطات العر بية في برلين الذى صنعه الوارد يتكون من عشرة مجلدات كبيرة ، وكذلك المخطوطات العر بية في المكتبة الأهلية في بار يس والمكتبة البر يطانية بلندن وغيره .

ومن نماذج تسرب مخطوطاتنا إلى أور با ماذكره حمد الجاسر عن أمين ابن حسن الحلوانى المدنى المتوفى في بومبى بالهند عام ١٣١٦ هـ فقد كان عالما مهتما بالمخطوطات ، وله صلات قو ية بالعلماء في مصر والهند وأور با « وقد رحل الى أور با لبيع الكتب و وصل إلى امستردام عام ١٨٨٣ م وليدن حيث باع مكتبة بر يل في ليدن مجموعة من المخطوطات القيمة وقد ألف المستشرق لندبرج السو يدى فهرسا للمخطوطات التى باعها الحلوانى على مكتبة بر يل وطبع هذا الفهرس في ليدن عام ١٨٨٣ م في ١٣٨ ص»[٢]

والعناية بالمكتبات الخاصة لها عدة طرق :

١ ــ فهرسة هذه المكتبات فهرسة تحليلية دقيقة وعمل قوائم كاملة بجميع محتو ياتها .

وقد خطا مركز البحث العلمى بمكة المكرمة خطوة موفقة حينما انتدب أحد الباحثين فيه إلى القصيم وحائل ، وقد قام هذا المندوب بز يارة مجموعة من المكتبات الخاصة وكتب وصفا لمحتو ياتها وتم نشر جزء منه (عن القصيم) في العدد الثانى من مجلة المركز ، وهذا عمل يشكر عليه المركز ، وإن كان وصف المخطوطات فيما نشر مختصرا جدا .

والواجب أن يتم حصر شامل للمكتبات الخاصة في المملكة واعداد وصف دقيق لكل محتو ياتها ويجب على الجامعات أن تنسق فيما بينها في هذا الميدان على أن تختص كل جامعة بمنطقة من مناطق المملكة مثلا .

٢ ــ تصو ير هذه المخطوطات كاملة ضمانا لبقائها ثم ايداع نسخة منها في كل قسم من أقسام المخطوطات في المملكة ، و بذلك نضمن انتشارها واستفادة الباحثين منها ، و بقاء صور جيدة لها فيما لو تعرضت الأصول ــ لا سمح الله ــ للتلف .

٣ ــ طبع فهارس لها توزع على الجهات المهتمة بالتراث في العالم الاسلامى ومراكز الدراسات العر بية والاسلامية في جميع أنحاء العالم .

٤ ــ إن أمكن اقناع أصحاب المكتبات الخاصة أو ورثتهم بنقلها وضمها إلى مراكز المخطوطات في الجامعات إما بطر يق الشراء أو الاهداء فذلك أفضل ضمانا لسلامتها لأن لدى مراكز المخطوطات وسائل علمية لحماية المخطوطات من التلف ، ويحسن أن يفرد للمكتبات الخاصة جناح خاص و يوضع على كل مخطوطة ما يشير إلى صاحبها اعترافا له بالفضل .



كما أن هناك مخطوطات هامة لدى بعض الأفراد وربما يكون بعضهم ممن لا يعرف للمخطوط قيمته وأهميته ، لذا يحسن شراء المخطوطات منهم وحبذا لو قامت وسائل الاعلام (إذاعة ــ صحافة ــ تلفز يون) بحملة وطنية لحث المواطنين على ايداع مالديهم من مخطوطات لدى أقسام المخطوطات الرسمية و بيان أن ذلك أسلم وأضمن لبقائها والانتفاع بها وتبسيط ذلك لهم مع اهتمام أقسام المخطوطات بذلك واتصالها بالأشخاص واغرائهم بالقيمة المناسبة وكتابة أسمائهم على المخطوطات .

ولو تم ذلك لحصلنا على مخطوطات مجهولة و بذلك ضمنا الاستفادة منها وحمايتها من الضياع .



ويجب على أقسام المخطوطات أن تقدم تسهيلات ملموسة للباحثين وطلاب الدراسات العليا مثل :

١ ــ توفير أجهزة القراءة والأماكن المريحة لهم .

٢ ــ أن يكون في المكتبة خبير أو خبراء مخطوطات ، يقدمون خدماتهم وخبراتهم للباحث ، وقد يساعدونه في معرفة النسخ أو قراءة الغامض منها ونحو ذلك من الخدمات العلمية والاستشارات .

٣ ــ التصو ير السر يع لما يطلبه الباحث .

٤ ــ تخفيض تكلفة التصو ير أو اعفاء الباحثين منها .

٥ ــ طلب المخطوطات التى لا توجد في القسم ، وذلك عندما يقدم الباحث بيانا مفصلا عنها لأن الجهة الرسمية أقدر على الطلب من الأفراد

ولأن بعض المسؤولين عن المخطوطات مع الأسف لا يتجاوبون مع الباحثين بل يضعون في طريقهم العقبات عن جهل وذلك أمر يحس به الباحث ويأسف له، فان الحصول على صورة المخطوط في أوربا أو امريكا ربما يكون أسهل بكثير من الحصول عليه من بعض المكتبات في الداخل وقد أورد حمد الجاسر مثالا على ذلك فقال: «لقد احتجت إلى نسخة من كتاب لا يزال مخطوطا في مكتبة الحرم المكي الشريف نسخة جيدة كاملة منه وتوجد نسخة أخرى في فينا بالنمسا فكانت هذه النسخة الأخيرة الناقصة أقرب إلي، وطريقة الانتفاع بها أيسر من طريقة الانتفاع من نسخة الحرم» (٣)

وقد احتجت إلى صورة لمخطوط في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، فحصلت على صور لنسخ أخرى من المخطوط من لندن وباريس وبرلين والفاتيكان قبل أن يصلني الرد من المدينة المنورة برفض الطلب.

٢٤

إن التعاون بين الجامعات في مجال المخطوطات يجب أن تتم دراسته ووضع الخطط المفصلة له بين المسؤولين عنها في الجامعات، ولذلك لابد من عقد لقاءات دورية بين عمداء المكتبات ورؤساء أقسام المخطوطات في الجامعات السعودية.

ومن أهم مجالات التعاون:

١ ــ التنسيق في مجال تصوير المخطوطات من خارج المملكة فلو أن كل جامعة التزمت بتقديم نسخة من صور المخطوطات التي تحصل عليها للجامعات الأخرى لكان في ذلك اثراء لمكتبات الجامعات وتوفير للوقت والازدواجية بل والمنافسة في هذا المجال.

٢ ــ التنسيق والتعاون في مجال تصوير المخطوطات في الداخل.

٣ ــ تبادل المعلومات والفهارس.

٤ ــ أن تزود كل جامعة الجامعة الأخرى بفهرس مفصل لكل المخطوطات الموجودة لديها مع اعطائها فرصة لقبول طلبات التصوير نيابة عنها للباحثين وطلبة الدراسات العليا.

٥ ــ التنسيق في مجال المخطوطات حتى لا يتكرر التحقيق و يضيع الجهد.

٦ ــ عقد دورات وندوات مشتركة حول المخطوطات.

٧ ــ التعاون في مجالات العلاقات الخارجية مع أقسام المخطوطات في الخارج وفي الندوات والمؤتمرات الخارجية.

و بعد: فهذه خواطر وأفكار أردت أن أطرحها لعل فيها ما يفيد أو يثير نقاشا هادفا بناءاً، وأنا على ثقة من أننا سنخرج من هذا النقاش بفوائد سيعود نفعها على التراث والمهتمين به.



(١) العرب ٩٧/١.
(٢) العرب ٣٠١/١.
(٣) العرب ٩٧/١.